

الأسس الجغرافية والتاريخية للوحة اللو بيته

للاستاذ مصطفى عبدالله بيمو

د تة

على أن موجة الفتح العربي هذه التي ربطت بين الأجزاء الثلاثة سرعان ما تلته موجات أخرى عربية كان لها أثر كبير في تدعيم هذه الوحدة الجغرافية . ومع ما لإقليم فزان من موقع جانبي بالنسبة لموجات القبائل العربية في طريقها إلى الغرب إلا أن الملاحظ أن الدم العربي يسود القبائل الفزانية . ولا شك أن هذا الأثر لم يصل إلى فزان مباشرة إلا عن طريق طرابلس كبقية المؤثرات السابقة التي أتت من الشمال ومن أظهرها وصول المسيحية إلى فزان في العهد الروماني .

وكان من أهم الموجات العربية التي آثرت في ليبيا هجرة بني هلال وبني سليم وقد أراد بعض الكتاب أن يتخذوا من استيطان معظم قبائل بني سليم في برقة وغالية بني هلال في طرابلس وتونس مدعاة لاثبات اختلاف التكوين الجنسي لكل من الاقليمين؛ ولكن فأنهم أن هذه القبائل جميعها عربية وإن اختلفت في التسمية، ولهذا يستبعد اختلاف تأثيرها خصوصاً وأنها تتحد في الأصل القبلي، إذ المعروف ان بني سليم وبني هلال يتحدون في الأصل بانتمائهم إلى مضر من بادية نجد . ولو كان بنو سليم من عرب الشمال وبنو هلال من عرب الجنوب لكان من الممكن التماس الأسباب لهذا الزعم ولكنهم جميعاً من أبل وموطن متحد.

على أن هذه الموجات العربية التي أتت من الشرق وربطت بين أجزاء البلاد سرعان ما تبعها موجات أخرى أتت من الغرب وزادت في قوة هذه الرابطة الدموية من المعتقد أنه بعد اختفاء المجتمع الاغريقي الروماني بعد الفتح العربي كانت مدينة (برنيق) المرروفة الآن بينفازي غير مسكونة حتى القرن الخامس

عشر الميلادي عندما عادت الحياة إليها من جديد بواسطة المهاجرين من جماعات التجار من مدن الساحل الطرابلسي ومن بينهم أولئك الذين أتوا من مسراطة وقد زاد عددهم على مر الأيام حتى أصبحنا نرى أخيراً في مدينة بنفازي شوارع تحمل أسماء قرى مسروقة في مدينة مسراطة فهذا شارع (جزير) وذلك شارع (قصر أحمد) وهكذا وكلاهما أسماء قرى ما زالت عامرة بأهلها في مسراطة قد تزح بعض أفرادها إلى بنغازي واستوطنوا حتى أصبح المعروف بين البادية أن كلمة (مسراتي) معناها ذلك الذي يسكن بنفازي . ورعا تكون لفظة الأرقام أكثر توضيحاً لارتباط عائلات مدن برقة بأصولها في مدن طرابلس إذا عرفنا أن قرية واحدة من قرى مسراته متوسطة في عددها لها علاقات عائلية بستة وسبعين شخصاً من أفرادها القيمين في برقة والذين يتولون بدورهم الاشراف على عائلاتهم الخاصة . وهذه درنة كذلك قد زاد عدد سكانها باقامة التجار الآتين إليها من المدن الساحلية في طرابلس . وإذا عرفنا أن أهالي مدينة درنة ثانياً مدن برقة أهمية يتقسمون إلى (تواجير) نسبة إلى تاجوراء وإلى (مسارته) نسبة إلى مسراته وإلى (ظليونية) نسبة إلى ظليين وإلى (قول اوغلية) نسبة إلى أبناء القرى الانكشارية أدركنا النسبة العالية التي ساهمت بها بعض مدن ساحل طرابلس في تكوين سكان درنة . وبهذا الشكل فيما يختص ببقية مدن برقة كتوكرة والمرح وطبرق وغيرها . وما زال هؤلاء النازحون على اتصال بأهلهم وذويهم في المدن الساحلية الطرابلسية والمكس بالمكس . وانا أن تصور مدى الصعوبة الاقتصادية والملاقات الماثلية التي يلاقها سكان البلاد لو تحققت نظرية فصل الاقليمين عن بعضهما .

هذا من ناحية الملاقة البشرية أما إذا درسنا جغرافية البلاد الاقتصادية فإننا نلاحظ أن البلاد تصاب بأعوام الجفاف من سنة لأخرى فتتعرض حياة البلاد للمجاعة كما تتعرض الثروة الحيوانية للهلاك ولكن الملاحظ أيضاً أن سنوات الجفاف إذا حات فهي في الغالب لا تشمل كل البلاد بشقيها فإذا قلت

٤٤٦ر٣٠٠	راس ماعز	٢٥ر٠٠٠	رأس ماعز
٠٨٣ر٣٠٠	جمل	٠٢ر٦٠	جمل
٠٢٣ر٦٠٠	بقرة	٠٨ر٧٠٠	بقرة
٠٢٧ر٠٠٠	حصان	٠١ر٠٠٠	حصان

ولنرجع مرة أخرى للتاريخ القديم لنرى مدى علاقة طرابلس بفزان؛ فنحن نعرف أن الفسيفساق قد أتوا ساحل طرابلس وأقاموا المدن الثلاث؛ ولا شك أن وجود هذه المدن الثلاث وقيامها لم يأت عفواً بل لأموامل الجغرافية هي التي ساعدت على قيامها لدرجة أن جملنا نعتقد أن قيام هذه المدن كان لا بد أن يحدث سواء أتى الفينيقيون إلى طرابلس أم لم يأتوا؛ لأن عوامل قيامها متوفرة وإن شامت الظروف أن يحدث ذلك على يد الفينيقيين. هذه العوامل الجغرافية التي ساعدت على قيامها كان أهمها الطرق التجارية التي تربط هذه الأماكن بفزان ومنها إلى إقليم السودان. فسبراته مثلاً تقوم في نهاية طريق تجاري إلى الجنوب يمر بفداس وطرابلس تقوم عند نهاية طريق تجاري قديم إلى الجنوب يمر إما عن طريق ترهونه وإما عن طريق غريان. ولقد كانت هذه الطرق التجارية خير رابط بين فزان وطرابلس وموحد بين هذين الإقليمين منذ العصور القديمة. وإذا كانت تجارة القوافل قد قلت أهميتها في الأعوام الأخيرة فما ذلك إلا لتقلل الاستعمار الأوربي وفصله بين فزان والسودان، وفي فصل فزان عن طرابلس القضاء النهائي على بقايا هذه التجارة وهدم ركن هام في حياة البلاد الاقتصادية. وكان الأولى التفكير في ضم إقليم تمبوكتو إلى فزان حتى تتمتع تجارة القوافل بمد كسادها مؤقتاً لا العمل على بتر فزان من طرابلس، إذ أن الجيوش الفرنسية قد دخلت فزان للتحرير كما دخلت جنود الحلفاء فرنسا نفسها بمد انهيارها أمام الغزو الأجنبي.

وإذا كانت راحة الكفرة على رفم موقعها المنزلة ورغم قلة أهمية تجارة القوافل التي تمر بها بالنسبة لما هو كائن بفزان ورغم ظروف الحرب الأخيرة فإن الأستاذ bell (١) يذكر لنا في

الأمطار في طرابلس كان مستواها فوق المتوسط أو متوسطاً في برقة والمكس بالمكس. وبمراجعة الجاهات التاريخية التي حدثت في البلاد ندر أن نكون قد عمت البلاد جميعها وهذا مما يخفف من حدة الأزمة ويجعل البلاد تمر منها بسلام كما حدث في سنة ١٩٣١ (المروف بعام بنغازي عند الطرابلسيين) عندما يث أهالي طرابلس بمحيواناتهم إلى برقة. وكما حدث في سنة ١٩٤٦ عندما احتل أهالي طرابلس إلى كبر على برقة. وهذا أيضاً ما نلاحظه في هذه السنة فقد نشرت مجلة Sunday: ghbay المصادرة بطرابلس الغرب في عددها (١٢١) بتاريخ ٩ أبريل سنة ١٩٥٠ أن قبائل برقة التي على الحدود الغربية أخذت تنتقل بمحيواناتها إلى طرابلس نظراً لسوء موسم الأمطار هذه السنة في برقة.

ونحن إذا درسنا الجغرافية الاقتصادية للأجزاء الثلاثة لوجدنا مثلاً فزان تعتمد إلى حد كبير على شمير طرابلس كما أن موانئ طرابلس هي النفذ الطبيعي لإمداد أهالي فزان بما يحتاجون إليه ونصدير ما يستقنون عنه أو ما يجلبونه من السودان إذ أن أقرب الموانئ إلى فزان هي موانئ طرابلس الغرب بمكس ما لو أجه أهالي فزان إلى موانئ تونس أو الجزائر كما هي الحال الآن.

هذا والانتاج المحلي لسكل من طرابلس وبرقة يجده سوقاً متبادلة يخفف من ارتفاع أسعار الحركة التجارية وارهاق السكان مما لو استوردت مثل هذه الأشياء من الخارج.

وعلى أي حال فإن اقتصاديات البلاد كوحدة مجتمعة يمكنها أن تسكن البلاد إلى حد كبير. ولاعبرة بما كانت تطلبه البلاد من معونة خارجية في العهد الإيطالي نظراً لما حل بالبلاد من أهالك عام بسبب الحرب والهجرة ولنا في هذه الإحصائية البسيطة مدى ما انتاب البلاد ومدى ما يمكن أن تصل إليه ثروة البلاد مع شيء من العناية.

الثروة الحيوانية لبرقة سنة ١٩١٠ الثروة الحيوانية لبرقة سنة ١٩٣٣
أى قبيل الاحتلال الإيطالي أثناء الاحتلال الإيطالي
٢١٣ر٠٠٠ راس فحم ٩٨ر٠٠٠ راس غنم

منهم على الدخل الذى يكفيها ويمكنها من ادارة شئون الأهالى .
وحتى يمكن اختيار من يصلح لادارة شئونها إذ كلما كثر المدد
زادت صلاحية الاختيار وقلت مصاريف إدارة هذه الدولة
والمعكس بالمعكس .

وإذا كانت هناك بعض الفروق الجغرافية البسيطة بين أجزاء
البلاد الثلاثة فهذه أشياء لا بد منها ولا تخلو منها أى بلاد وهذا
الاختلاف البسيط ضرورى لحيويتها . وإن لم يوجد عمل الأهالى
على زيادة السكى يضموا بقية البلاد يرتفعوا على أن من الفروق
الجغرافية البسيطة مهما عظمت فإن تبلغ ما تراه من فروق
جغرافية واضحة بين شمال ايطاليا وجنوبها من حيث الجنس
والحياة والمادات والحرف والمناخ وطبيعة التربة . ويكفى أن
الاطالين أنفسهم يشعرون بذلك ويتحدثون به . وكذلك إذا
درسنا جغرافية فرنسا فهى فى جنوبها تختلف عن شمالها القربى
وتختلف عن شرقها من حيث المناخ والسكان؛ فبيئاً الجزء الجنوبي
يتمتع بمناخ البحر الأبيض وسكانه من جنس البحر الأبيض
تجد الجزء الشمالى الغربى ممطر طول ، العام ارسكانه من الجنس
النوردى ذى القامة الطويلة . وكذلك نجد الجزء الشرقى ينتمى إلى
اقليم وسط أوروبا كما ينتمى سكانه إلى الجنس الالى . أما بريطانيا
فيكفى أن تعرف أنها تضم انجلترا واسكتلندا وويلز . ومع كل هذا
لم ينكر أحد وحدة هذه البلاد مع أن الفروق الجغرافية التى
تسودها كفيلة بتمزيقها والقضاء على وحدتها . فهذه ويلز
بموقعها الجغرافى المنفرد وطبيعتها - سطحها الجبلى وسكانها الذين
يمثلون أقدم الأجناس الذين نزحوا إلى الجزر البريطانية وعقيدتهم
الدينية الخاصة وشهرتهم بالمحافظة عليها وانتمهم الخاصة بهم التى
دفعت الحكومة البريطانية لتدريسها فى مدارس ويلز ومخصيص
برنامج خاص بها للاذاعة المحلية . وإن كل هذا مما تراه من وحدة
الجنس واللغة والدين والمادات والتقاليد والآمال التى تربط بين
لويبا بأجزائها الثلاث . لا شك أن المدل والانصاف يتطلبان
المحافظة على هذه الوحدة وتدعيمها وانا فيما قررت هئية الأمم
المتحدة أخيراً ما يحقق تنفيذها

مصطفى هبى الله بعبو

خريج جامعة فاروق ومعهد التربية المال
بالزاوية بطرابلس الغرب

كتيبه الذى ألفه أخيراً عن واحة الكفرة أن عدد القوافل التى
مرت بها سنة ١٩٤٣ كان ٧٥ قافلة كان عدد جمالها ٢٢٥٠ جملاً
فاذا يكون الحال فى فزان إذا أحكت الصلة بينه وبين موافى
الشمال وضم إليه مبيكتو الملاصق للسودان ؟
على أن هذه الصلة المتينة التى ربطت بين طرابلس وفزان قد
أدركت منذ القدم ، ولم يدركها الفينيقيون وحدهم ، فبعد أن بسط
الرومان سيادتهم على طرابلس اتقنوا بصموية اخضاع هذا
الجزء من عالم أيام الاستيلاء على فزان ، فأتت كرتاروس العرب فى
عهد اغسطس يتولى قيادة حملة هامة لاخضاع فزان . وكما كانت
فرحة أهل روما عظيمة عندما عاد إليهم باليوس منتصراً بعد أن
وصل إلى مدينة جزمة عاصمة فزان فى ذلك الوقت . وكان الرومان
يكررون إرسال هذه الحملات من وقت لآخر لضمان بقاء فزان
حتى يضموا بقاءهم فى طرابلس كما حدث فى عهد الأمبراطور
تيروس عندما ذهب القائد فسئس (Fesius) على رأس حملة
حربية بدأت سيرها من ليرة إلى (بونجيم) فهون ففزان . ولم
يتوان الرومان عن إرسال الحملات إلى فزان حتى ضموا خضوعه
لهم فأمنوا على طرابلس من الجنوب كما اتخذوا منه قاعدة للوصول
إلى أواسط افريقية .

لا شك أن هذه العوامل الجغرافية قد بينت لنا مدى ضرورة
هذه الوحدة كما اننا إذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا العصور الذهبية
لتاريخ البلاد قد تمثلت لنا عندما كانت موحدة أو أقرب إلى
الوحدة . ترى ذلك فى السنوات المتقدمة من الفتح العربى ، وترى
ذلك أيام حركة أبى الخطاب الاباضى التى لو قدر لحركته أن
تستمر لثمت الوحدة على يديه على أهمها يكون . وترى ذلك أخيراً
فى العهد القره مانلى . ولولا وحدة هذه البلاد واستقلال مرافقها
مجتمة ما استطاع أحمد باشا القره مانلى أن يؤسس دولة كان لها
من القوة ما اربع الدول فى حوض البحر الأبيض وما استطاع
ابناؤه من بعده أن يسبوا على هذه السياسة ويرفوا شأن لويبا .
ولا شك أن البلاد بأجزائها الثلاثة تمانى أزمة خطيرة بسبب
قلة السكان وهذه القلة لا تسمح بهذا التقسيم بل تنادى بضرورة
التكامل والجمع بين هذه القلة المشطورة . ونحن نعرف من اسط
دروس التربية الوطنية التى تعلمناها فى المدارس أن من شروط
قيام أى دولة هو وفرة السكان بشكل كاف حتى يمكن الحصول